كتابي صديقي

"أسرار مُعلنة"

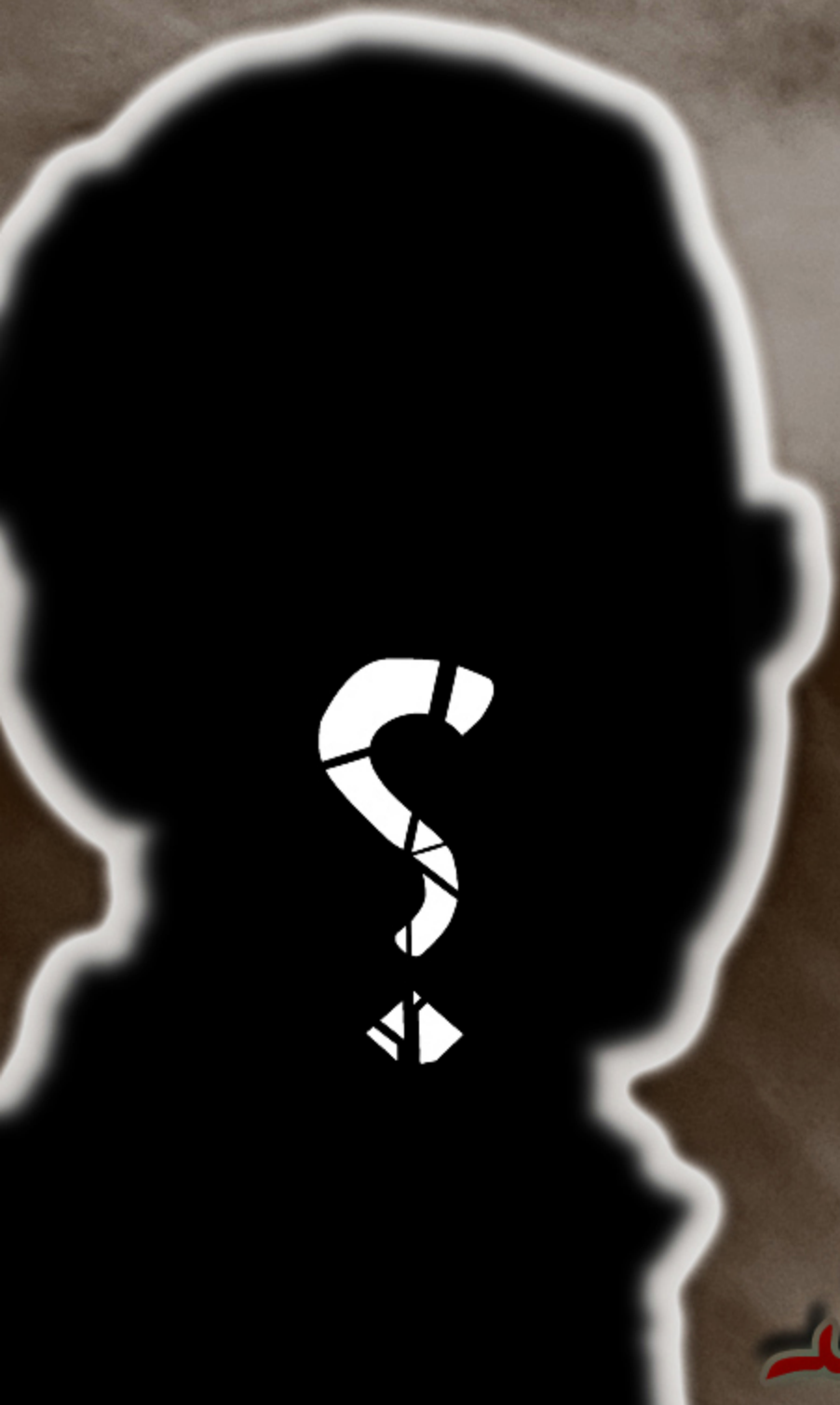

أحمد خالد

كتابات صديقي

"أوجاع في كلمات وسطور"

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

تأليف

أحمد خالد عبد المنعم

كتابات صديقي . . .

كتابات صديقي

١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م

أحمد خالد عبد المنعم

"أوجاع في كلمات وسطور"

حقوق النشر محفوظة للمؤلف ، ولا يجوز

إعادة نشر هـذا الكتاب ، أو مقتطفات منه

أو الاقتباس دون ذكر المصدر ، إلا بموافقة كتابية

من المؤلف ، ومَن يخالف ذلك

يعرض نفسه للمساءلة القانونية . . .

للتواصل مع الكاتب

https://www.facebook.com/Ahmed.Khaled33319

الإهداء

إليكِ يا أختي الغالية وملهمتي الوحيدة ، وكفى ...
فحفظكِ الله لي يا أحن مخلوقة في الدنيا
أنتِ الوحيدة التي ستهتم بكلام هذا الصديق .

أحمد خالد

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد:

أتحدث في كتابي هذا عن شابٍ أراد أن يحقق ذاته ، فلم يجد مَن يسمعه ، وجد الخجل يحيط به من كل جانب إنها طبيعة خلقه الله تعالى بها لا يعلم ماذا يفعل ، كل ما يعرفه صاحبنا فى تلك الدنيا هو الكتمان وأن يجلس وحيداً في غرفته يكتب ويكتب لا يكل من الكتابة لا تظن يا صديقي أنه يكتب حباً في الكتابة إنما كل ما في الأمر أنه قد ضاقت به الحياة ولا يجد مَن يفهمه إنها الدنيا ، لا تعطي كل شيئ لشخص واحد

وإنما تقسم الأرزاق والسرور أيضاً على خلق الله أجمع ، فلا تكن أنانياً إياك والأنانية يا صاحبي ، أكتب اليوم عن هذا الشاب الذي شغل بالي بأحاديثه معي ، بكتاباته التي غمرت أركان عقلي ، فكلما أراه وحيداً في غرفته بالمدينة الجامعية اسأل نفسي دوماً لما يفعل ذلك ؟ أليس له أهل يسألون عنه ويراعونه ، إني لا أرى الفرحة فى عين هذا الشاب أبداً فكلما خرج أصدقائنا للهو بعد اليوم الدراسي أجده وحيداً يمتلك قلماً ويخرج ورقاته من درج مكتبه ، ثم يشرع في الكتابة فأدخل إليه متطفلاً وأجلس على سرير الغرفة ، لكن أكثر ما كان يُدهشني في تلك اللحظة أنه لا ينتبه لدخولي إلى الغرفة ، أجده مستمراً فى الكتابة ، وأردت أن أجذب انتباهه فقمت بتشغيل بعض الموسيقي على هاتفي ، فوجدته ينظر إلىَّ ويبتسم ، ثم أضار ظهره وأكمل ما كان يفعله ، واستمرت

الموسيقي واستمر صاحبنا فى الكتابة إلى أن أنهى ما كان يكتبه ثم سألته عما كان يكتبه ، فأجابني والدموع بعينيه إنها كتابات شاب قد ضاقت به الحياة ، فسألته لما تفعل بنفسك ما تفعل ، أليست الدنيا قصيرة لأن تأسر نفسك في تلك الغرفة التي لا تتسع لكلانا معاً فتبسم وقال حتى وإن كانت تلك الغرفة الحكومية ضيقة ولا تتسع لكلانا على حد قولك يا شاعرنا ، إلا أنها أوسع من الضيق الذي بصدري ، فما زحته وقلت له : أنا لن أكتب فيك شعراً ، فلا تحاول استعطافى فضحكنا وقال لي لا أريدك أن تكتب في شعراً أريدك أن تكتب عني بأسلوبك ؛ علّني أكون مُخطأً في كتاباتي ، قلت له : وهل ستعطيني كتاباتك لكي اقرأها ، قال لي : لست بحاجة لكتاباتي ، إن كتاباتي وُلدت من واقعنا المرير ، قلت له : يا أخي بالله عليك لا تعقد لنا الدنيا

فنحن ما زلنا صغاراً والحياة ما زالت أمامنا لما تحمل هموم الدنيا علي

رأسك فأجابني : إن الدنيا حقاً جميلة كما تذكر أنت في كتاباتك

الرومانسية لكن أتريد مني أن أثبت لك أن رومانسيتك التي تطغى على

كتاباتك هي أيضاً مريرة ؟

فأجبته : أخبرني كيف هي مريرة يا صديقي ؟

قال : ألست تبحث عن فتاة تفهمك وتقدر ما تكتب لها وفيها ؟

أجبته : بلى .

فعلق على إجابتي : وكذلك أنا أريد الدنيا جميلة وأريد منها أن تفهمني

لكن ليس على كلانا حرج ، فأنت تبحث عن فتاة تقدر الشِعر

والرومانسية في زمانٍ قد انتهت فيه الرومانسية ، أو قل قد يظن البعض

أن الرومانسية ما هي إلا تلفاز يعرض لنا بعض القصص الهندية ونحن

نشاهد ونقول يا ليتنا ، ألا تجد أن معظم الفتيات تشاهد تلك المسلسلات الهندية والكورية لتحيا في القصة مع فلان أو فلان ، لقد ضاقت الدنيا بنا يا صديقي ، ولم يعد للرومانسية أى مجال للتصديق فلو قرأت كتاباتك مليون فتاة ما وجدت امرأةً واحدة تصدق أنك بتلك الشخصية التي تكتب بها ، ليس العيب فيك ولا في أسلوبك الكتابي إنما العيب في العقول التي بُرمجت على عدم تصديق الخير ، بل إن الشك موجود حتي في أتفه أمور الحياة ، فقلت له : بالله عليك يا أخي لا تُقلب علىَّ المواجع و اتركني أعيش في كتاباتي الرومانسية وعش أنت في كتاباتك اللعينة تلك .

ثم تركته ورحلت . . .

حوار مع النفس : أعوذ بالله منك يا أخي أذهب إليك لكي أهون عليك تأتي أنت وتقلب الهموم والأوجاع في قلبي .

ثم مضى اليوم و ذهبت إلى غرفته مرةً أخرى ، فقال لي : لما عدت ؟ ألا تريد العيش في كتاباتك الرومانسية الوردية ، والله إني لحزين منك .

فقلت : أعتذر منك يا أخي ، قال :أنا لست حزين لأنك تركتني ورحلت أنا حزين لأنك نعتّ كتاباتي بالملعونة ، كتاباتي ليست ملعونة يا صديقي ، كتاباتي تتحدث عن هذا الواقع المرير الذي نحياه ونستمر في التفكير فيه ساعةً بعد ساعة .

قلت : وماذا تريد مني الآن قال أريدك أن تكتب عني ، أخرج من رداء الرومانسية هذا ، واكتب عني قليلاً أريدك أن تصفني وتصف حياتي

فأجبته : وكيف اكتب عنك وأنا لا أعلم كل شيءٍ عنك ، كل ما أعرفه بعض من الأشياء لأننا عشنا مع بعضنا في تلك المدينة الجامعية .

أما عن حياتك وكتاباتك فلا تطلب مني المستحيل فأجابني لا تقلق ، سأحكي لك عن ما عشته في حياتي ولتكتب أنت بما تحسه في كلامي ، ثم تقارن بين وجهة نظرك ووجهة نظري ، أتدري لما أطلب منك أنت بالتحديد ؟ ولم أطلب من أحمد أو محمد أن يكتبوا عني رغم أنهم يكتبون مثلك برداء الرومانسية ؟ ، قلت : لما ؟

قال : لأنك أحسست بي وبحالتي ويوماً تأتي لتطمئن عليَّ وهو الشيئ الذي لم أعتده من أحد .

نعم يا أصدقائي إنها الوحدة عافاكم الله منها وأبعدها عنكم دوماً ، إن الوحدة تفعل أكثر من ذلك ، تجعلك تفقد الثقة في كل البشر ، تشعر

وكأنك وُلدتَ وحيداً في تلك الدنيا ، وأنه لا يوجد أحد في تلك الدنيا قادر على فهمك قَط .

وأنت الوحيد يا صديقي القارئ ، أنت فقط إن كنت وحيداً ستشعر أن تلك الكلمات صادقة ، وإن لم تكن من هواة الوحدة ، فأنظر إلى أى شخص حولك ممن يرى الوحدة رفيقة له ، انظر كيف هي حياته ثم احكم على كلماتي .

فلقد كتبت هذه الكتابات وأنا مع هذا الصديق الملعون بالوحدة على حد قوله يرى أن الوحدة مرض لكنه يستلذ بهذا المرض ويجد فيه الصاحب والأهل والأقارب والحبيبة ، يرى في هذا لمرض كل شيئ ومنذ أن بدأت أكتب عن هذا الصديق وشعرت أن أسلوب حياته وتفكيره أشبه بالهموم والأثقال بعضها فوق بعض .

ولنبدأ مع بدايات كتابات هذا الشاب ، ولنعش مع تلك الكلمات التي تعبر عن مآساة ليست مآساته هو وحده بل مآساة كل شخص مثله وشبيهه في حالته تلك .

*****

*صاحبنا والكتابة . . .

أحسست بالهم يملأني ويحيط بي من كل إتجاه ، إنه كالمحب الذي يمتلك قمم النفس، وكذلك الحزن فهو الرفيق الأمثل للهم ،صاحبنا ليس انبساطياً بدرجة نقول عنها معقولة ، ولكنه مُتعذب متألم مما في داخله من مشاكل معظمها أو قل أغلبها نفسية بالمقام الأول ، ولهذا لا سبيل إلى أن يبوح بها كُلِهاهو لا يبوح إلا بالصريح ذو الهدف الذي يرنو في آخرالأمر إلى نتيجة تخدم النفس المُعذبة وتُعينها على قضاء أمور أخرى ، وتعينها على الحياة ، فنجده ينفعل بسرعة جداً فإن أردت إشعال حريق فكل ما عليك هو إحداثه بشرارة، والغضب عند صاحبنا يحدث عند وجود سبب فعلي يدعو إلى ذلك الفعل،ومثلهُ الصُداع فهو أحد الأمور التي تُسبب له الغضب خصوصاً عندما يُكلمُه

أحدٌ بطريقة لا يرتاح لها ، والصمت علامته المثالية والمميزة له في فصله الجامعي ومبدأ ضمن الأولويات التي لجأ إليها وذلك عندما رأى قلة الأصحاب وقلة الحديث إلا في الأمور المُلزمة،فسكوته لفترة هو أحد الأسباب التي تستفيض داخله من حالة ترفض الوضوح،وتأبى الاعتراف بحقيقتها لا خوفاً ولكن خجلاً،وتجنباً بذلك الاستهزاء والسخرية من الآخرين ، لم يجد في حياته قط صديقاً مخلصاً وذلك منذ طفولته إلى هذا السن ، فالحقيقة أنه وجد صعوبة بالاعتراف لشخص عن ما في داخله خصوصاً للأشخاص الذين لا يميل تجاههم بشيء يجعله يرتاح لهم ويهنأ بمُجالستهم،فكلامهم عديم ، وفهمهم قاصر ، ومعرفتهم لا تتعدى مد بصرهم ، لذا اختار طريقة رائعة تحقق له جميع أغراضه ، تلك الطريقة التي معها يستطيع الإفصاح دون خجل ، وفي نفس الوقت

يكون قد أخرج صاحبنا ما بداخله من آلام وضغوط نفسية تكاد تمزق قلبه وتشتت عقله في أرجاء هذا العالم المحيط به ، اختار الكتابة حتي يرتاح ،فكيف له أن يتحمّل الضغوطات التي تدعوه دوماً إلى الكسل والخمول والنفور من كل الأشياء الجميلة،لا عتاب على الأيام فهو قد خلق ذلك الجو الغائم بسُحُبه السوداء،ورياحه ، فالحياة في نظره صارت بلاجدوى وأخذ في التفكير بالانتحار لولا أن هناك ما يمنعه إنه مانع داخلي يقول ويُنادي بعدم فعل ذلك ، إنه الخوف من الله والحياء الذي يمنعه من لقاء ربه كافراً ولكن فكرة الانتحار تلك قد جالت في البال،وقد استطردها الخيال فهام بها ، حتى علم صاحبنا أن الواقع يتطلب الجِد والامتثال،فلا تفكر بالموت يا هذا ، ولا تستدعيه ، فإن الحياة بيد الله الذي أمات وأحيى فلاولا تفعل يا صاحبي ، وقل إنّ فرج

الله قادم وهو بإذن الله لقريب ولهذا الأسباب كلها قد لجأ صاحبنا إلى الكتابة ليعترف لا ليشكو إليك أو إلىّ ،فالشكوى لله ذو الجلال ، فالشكوى راحة مؤقتة لا أكثر أما الاعتراف فهو الراحة التامة التي تجعله ينام هادئ البال مرتاح القلب .

*****

* ما زال هنالك أمل . . .

وها هي قصة صديقنا مع الكتابة في تقدم واستمرار وقد قال أن البداية دوماً تدعو إلى السرور وليس كل نهاية للحياة حزن ، قال صاحبنا أنه لابد من الظفر ببعض المُتع والنعم من تلك الدنيا حتي وإن ضاقت بك هي نفسها قال أيضاً : أن الكتابة مؤنسته الوحيدة وهي حاملة أسراره وقاصة لكل حكاياته وقصصه ، وأن لكتاباته طابع خاص فهي تتسم بالواقعية والحقيقة ، فالحقيقة عنده عنوان لحياته وبداية حكاياته مع تلك الدنيا ، فهو إلى يومنا هذا يكتب ، حتى في تلك اللحظة التي أكتب فيها هذا الكتاب ، هو لازال يكتب ويعبر عما فيه من ضيق الحياة وألمها فلولا صبره وإيمانه بالله ، لكان صاحبنا قد جُنَ عقله ، إلا أن الجنون لم يتمكن منه إلى آخر مرةٍ جالسته فيها ، لأنه وعلى حد قوله يتميز بالصبر

والأمل المختلطان معاً ، كنسيجٍ واحدٍ لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، قال : أترى يا شاعرنا ها أنت الآن تفكر مثلما سيفكر أى شخصٍ يقرأ تعبيراتك عني أنني ولدٌ مُعقد لا والله لست معقداً ، فالحياة حلوة في نظر بعضهم لأنهم قد وجدوا فيها السراء ولم يروا الضراء أو قل حتى نكون مُنصفين قد رأوا الضراء قليلاً ، لكن يا صديقي مَن رأى الضراء دوماً طوال حياته مثلي ، مَن عاش في قهرها ونكدها ، الذي صار يمزقني ويمزق القلب ويحرق الأحشاء فاوالله لولا الأمل لقتلت نفسي وتخلصت من هموم الدنيا تلك .

ولولا الأمل الذي أحاكيك عنه الآن ، لكانت الحياة سوداء مريرة ولأنتهت بناظري تلك الدنيا وما عليها ،صاحبنا لازال يُدافع عن أمله ويدفع عنه ذلك الهم وينير بيديه ظلام غرفته ، هو قالها بلسانه: أعلم أن

بُعدي عن الله – عزوجل – هو السبب فيما أنا فيه لكني سأتقرب إلى الله تعالى ولن أترك الشيطان يتحكم بحياتي ، لكني أقولها لك أنا بشر وأنت تعلم أن كل ابن آدم خطّاء وندّام ، فهو كثير الخطأ وكثير الندم ، لا تتعجب أليس ابن آدم مَن ظن نفسه قادراً على حمل الأمانة التي تبرأ من حملها كل المخلوقات ، فهو قد اخطأ حينما حملها ، وحينها قد ندم على فعلته اسأل نفسك ماذا فعل هذا الإنسان بحياته ؟ فقط سلب من نفسه الراحة، وجلب المشقة والعناء لنفسه ، ثم تنهد صاحبنا قائلاً : آه يا صديقي إن هذه الحياة صعبة مريرة داكنة اللون سوداء كالخروب ، آه يا أخي إنها الدنيا ، إنها الاختبار لقوة التحمل ، كانت ستنتهي لولا هذا الأمل ، فأعلم يا صديقي أنه ما زال هنالك أمل ☺ .

*****

* وسيلة للراحة . . .

إنها المحنة التي أمر بها كل يوم ، إنها الوحدة القاتلة ، التي لم ولن أجد لها علاجاً قد تتعجب من قولي وتقول لي لماذا لن تجد لها علاجاً ؟

وإجابتي ليس لأنها مرض مستعصي وإنما لكونها وسيلة للراحة من هم وتعب تلك الدنيا الموحشة .

ها هي قصتي تمر وتمر وتُسمع البشر في كل الأرجاء ، عرفتُ يا صديقي أنه لا يوجد لي صديق في تلك الدنيا وأرجوك اجعل كلماتك مُعبرة بدقة عن حالتي وما أعانيه ، أتدري أن هنالك فارق كبير بين ما أشعر به وحدي وما أشعر به وأنا أحاكيك الآن .

لقد عبّرت كلمات صاحبنا عن معنى وإحساس ما يشعر به ولكن بعض العبارات صاحبها غرابة شديدة لم أتفهم منها ما يقصده ظننت

أنه يتحدث بطلاسم ، أهذا لأنه كان يسمع دوماً قصص الرعب المُسجلة ؟ ؟

لا أدري ربما . . .

لكني علمت مما فهمت أنه وإن كان يشعر بمرض الوحدة إلا أنها تعوضه عن حرمانه من الأصدقاء ، فلقد بيّن لي أنه لا يريد صاحباً خائناً فلقد جرت العادة ، أن نسمع عن كل صديقٍ يتقرب إليكَ ثم يغدر ويخون ويفضح عنك أسرارك .

قال إن الكتابة هي وسيلته في الاعتراف ،لكنه ما زال يميل إلى الإخفاء في حديثه عن سره الذي بات ينكشف أمامي في كلماته التي تخرج من القلب وليس من مخارج الصوت العادية عند الإنسان .

إن غموضه هذا يدفعني إلي الاستمرار في مجالسته كل يوم فأنت وراءك

سر كبير يا صديقي وسوف أكشفه مع الأيام ، ولن استسلم فالأيام بيننا . وأنت مَن دعاني للتعبير عنك بين دفتي هذا الكتاب .

وسأدعك أنت أيضاً تفكر معي بين سطور هذا الكتاب لتعلم ما هو السر علّنا نصل إلي سر صاحبنا هذا .

استطرد كلامه قائلاً : لن اذكر لك ما مر وما فات أجمعه فسأذكر لك ما يريح النفس أو قل على الأقل يُكسبها بعض من الراحة والاطمئنان ، أتدري يا صديقي إني أغبطك على تلك الحياة الخيالية التي تعيش بها فأنت تتأرجح بكلماتك بين عالمين أحدهما عالمٌ حزين والآخر عالم للرومانسية والرومانسيين يحيا فيه كل العشاق ، فإذا ما ضاقت بك الدنيا ذهبت بخيالك إلى عالم الأحزان هذا ، وإذا تجملت في عينك ذهبت إلى عالم العشاق ،ورغم أني أغبطك إلا أني مسرور بما أكتبه

لأني واقعي ولا أريد الاصطدام بالحياة المؤلمة . ولهذا ما أجمل الارتياح في حياه واقعية حتي وإن لم تخل من الجراح ، إن السرور والفرح هما طريقي ودربي الذي أسعى للخوض فيه وأسير نحوه كل يوم وكل ساعة لكنها الدنيا تهاجمني بالعقبات حتي أتعثر لكني قلتها لك سلفاً ما زال الأمل موجوداً ، ومهما ضاقت الدنيا أجري إلى ورقاتي وقلمي وأكتب وأكتب لذلك كانت الكتابة هي الحل الوحيد والأمثل لمواجهة تلكم العقبات .

فخذها مني نصيحة يا صديقي القارئ كلما ضاقت بك الدنيا لا تشتكي لأحد غير الله ، لكن يمكنك الاعتراف بالورقة والقلم عما يجول بك ليس شرطاً أن تكون أديباً أو وازناً للكلمات ، عبر يا أخي عبر عما بداخلك ويكفيك أن أخرجت سرك على الورق فهو الصاحب الأمين .

* جدال بين الواقع والخيال ، وحوار مع فتاة . . .

وفي أحد أيام الثلاثاء ، مساءً خرجنا من أبواب المدينة الجامعية لنأتي بطعام من الخارج ، كعادتنا كلما أردنا تغيير الروتين ، وأعلم أننا سنتحدث في موضوعٍ أنا وهو

وفي الوقت الذي كنت أخمن فيه هذا التخمين ، وإذ بصاحبنا يقول : لما لا نجري جدالاً معاً ولتكن أنت الخيال وأنا الواقع ؟

فأجبته إن الجدال مضيعة للوقت ، فقال لي : لا تخف فنحن سنغير نظرة الناس للجدال ، قاطعته قائلاً : كيف هذا ؟

قال بلهفة : أترى تلك الفتاة التي تقف أمام محل البيتزا هناك ؟

أجبته : نعم أراها .

قال: لما لا نسألها عن أى منا هو الأصح ، تعال لنجرى معها حواراً

ولنرى إن كانت تحب الواقع أم الخيال ؟

فقلت له : لما لا !

ودار الحوار التالي بعد إلقاء السلام والتحدث بأسلوب لبق

– هذا صديقي فلان وأنا فلان

–مرحباً .

–نريد أن نسألكِ فقط ، سؤالاً واحداً ولن نطيل عليكِ

فتعجبت الفتاة لأن صاحبنا كان يحدثها بالفصحى ، ظنت أنه واقع من

زمانٍ آخر ، فتبسمت وقالت

–وماذا تريد أن تسأل يا سيدي .

ردت بالفصحى هي أيضاً ، لكن بأسلوب ساخر ، أو قل أسلوب فكاهي لأنها كانت تبتسم طيلة الحديث .

-أريد فقط أن اسألك ، لو أنه عُرض عليك الزواج من رجلٍ رومانسي لكنه دوماً يعيش في الخيال ، هو رائع في الكلمات والأشعار لكنه دوماً يفكر بحياة الشعراء والموتى منهم وخصوصاً الغزليين الذين يتغزلون دوماً .

كل هذا والفتاة تبتسم وتسمع بدهشة لصديقي الذي يحدثها بتلك الطريقة الغريبة التي تشبه مقدمي النشرة الإخبارية ☺ .

وعُرض عليكِ الزواج من رجلٍ آخر لكنه واقعي ، ويؤمن أن الحياة مؤلمة وتكاد تكون أمامه متعثرة وحياته أشبه ببئر ظلمات ، ممتلئة بالهموم والأحزان ، لكنه سيفعل ما يمليه عليه ضميره وسيعيش معكِ كما أمره

الله تعالى فأياً منهما ستختارين ؟

وكانت إجابة الفتاة صادمة لي ولصديقي ، كانت الإجابة صادمة لكلانا ، فكل منا يظن أن الفتاة ستنصره على الآخر .

فقالت الفتاة بفم مليئ بالثقة ، كلاهما مرفوض بنظري ، ولما رأت التعجب علي أعين كلانا ، قالت : " هقولكم ليه

أولاً الرومانسي ده أونطه يعني هلاقيه عايش يومين حلوين معايا وممكن لو لقاني مزعلاه في يوم ، يروح لواحدة تانية عشان هي بتبادله نفس الشعور مش بقول إن الرومانسية وحشة ، لكن برضه الحياة مش كلها رومانسية"

كل هذا وصاحبنا يضحك مني ، علي كلام الفتاة ، إلي أن جاءت الصاعقة عليه أيضاً .

"أما صاحبنا الكئيب ده ، وعلى ما أظن إنه أنت – وأشارت بإصبعها تجاه صاحبنا – فده بقي ممكن يخلي حياتي زفت ويبهدلني ، أنتوا ليه مخلينها يا بمبي خالص يا سودة خالص ؟ ؟ في حاجة اسمها وسط يعني لا نعيش في الخيال ونبقي خياليين ، ولا نخلي الحياة سودة لازم ندور ونسعي عشان نبسط نفسنا "

ثم آتت صديقتها من داخل محل البيتزا ، ثم قالت الفتاة بتهكم

" سلام يا سيدي الكئيب ، سلام أيها الرومانسي " .

كانت إجابة الفتاة صاعقة لكلانا فكل منا ظن أنه الصائب ، إلا أننا حينما وقعنا في تجربة وسألنا فتاة من الفتيات ، تعلمنا منها شيئاً كنا قد غفلناه إنه التوسط في الحياة .

كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : خير الأمور الوسط .

* عقوق الأولاد . . . .

كلنا نسمع عن عقوق الوالدين ، لكن هل سمعت صديقي القارئ عن عقوق الأولاد ؟

نعم مثل ما أقول لك الآن عقوق الأولاد ، بكل ما تحمله الكلمة من أسى وأحزان .

ها هو صاحبنا يُكمل حديثه عن وحدته وقال : أنه يجلس وحيداً دوماً في تلك الغرفة لا يوده على حد قوله سواي ، ولا يسأل عنه أحد من زملائه بالمدينة فهو يجلس مفكراً في حاله وواقعه الأليم .

كنت جالساً معه فى أحد الأيام ، وإذ بها تفي يرن ، كان المتصل والداي فلقد اعتادوا أن يكلموني على الهاتف كل يوم الساعة الثامنة مساءً ليطمئنوا علىَّ وعلى أحوالي ومذاكرتي .

وعندما كنت أحدث أبي وأمي في الهاتف نظرت إليه فوجدته منتبهاً لي ولحديثي مع والدايّ ، وبعد أن أنهيت حديثي ، سألته : ما بك يا صديقي ؟

فرد عليَّ بسؤال مُحير :هل سمعت يا صديقي عن عقوق الأولاد ؟

فتعجبت وأجبته : لا . .فكلنا نسمع عن عقوق الوالدين ، لكني أول مرة في حياتي أسمع عما تقوله هذا ، لكن أخبرني يا صاحبي ، كيف يكون هذا ؟

فأجاب : إن أباك وأمك يكلمانك كل يوم ، ليطمئنا عليك ، لكن أنا غيرك فأمي وأبي لا يطمئنان عليَّ إلا كلما يتذكران أن لهما ابن في الغربة ، وهذا يحدث كل أسبوع مرة واحدة فقط وفي بعض الأحيان يمر أسبوعان أو أكثر دون أن أسمع صوتهما .

فتألمت مما قال صديقي ، وبعد أن قال تلك الكلمات ، أطرق رأسه وأنزل دمعاته الغالية .

فطلبت منه ألا يبكي ، وليعتبرني من أقرب الناس إليه ، فصدمني بقوله : لا يا صديقي ، أنت لست أقرب الناس إلىَّ ؛ لأنه لدي مَن هم أقرب منك وهم والدايَّ ، ومهما فعلا فهما أقرب الناس إلىَّ .

*****

* المال هو الشرف . . .

قد يتعجب البعض من بداية هذا المقال لما يحمله من عنوان يكاد يتسم بالغرابة والغموض ، قال صاحبنا أن كتاباته أصبحت غريبة في تلك الفترة التي أصبح فيها وحيداً ، فكما قلت لك أيها القارئ أنا نفسي أحسست بأن الدنيا كلها ظلمات حينما استمعت لكلامه لكني أعذره فما لاقاه صاحبنا اسوأ ما يمكن أن تتخيله من سرد للذكريات والكتابات التي أصبحت شبه غريبة وخارجة عن الانضباط ، إنه الواقع المؤلم ، ولهذا السبب بدأت بعض هذه السطور التي كتبها صاحبنا تخرج عن الانسيابية ، فقد أمست الحياة مؤلمةً ، ولا توحي بمعنى واضح إن صاحبنا ذا رؤية خافتة ومعنى ذا رموز من السهل فكّها ، فقال : إن الحقيقة أجمل من الغموض بكثير ، فالحقيقة تأتي في كتاباته لتوضح أموراً

غامضة لها علاقة بأشياء أخرى ، أما الغموض فهو أشبه بعمق البحر عميق جداً لا تكاد تصل إليه بسهولة ، والمراد من قولنا ذلك أن بعض تلك الكتابات سهلة وأخرى صعبة لا مغزى منها إلا بفك تلك الشفرة التي تحوم وتسيطر على تلك الكتابات ، فالتعبير عما بداخل النفس من اضطرابات وضغوطات نفسية إنما هو الإفصاح عن أسرارٍ ، إن هذا الإفصاح يقول عنه صاحبنا أنه دواء يهدأ من روعه ويقلل من تلك الحالة .

وقد وضح ذلك قائلاً : الأمر الذي كان بالأمس صعب أصبح اليوم العذاب الأصعب ووضح كيف يكون عذاباً ، فقال : إن العذاب في كيفية التخلص من هذا الأمر الصعب ، وأكمل قوله مستطرداً : الأمور لا تجرى بسرعة بل لا بد من التمهل والتريث فالفن هنا يكمن في كيفية

معاملة تلك الحالة معاملة صحيحة ومثمرة قائمة على الالتزام والاهتمام والانضباط المتسم بالصبر والمقاومة المطلقة وتلك النفس التي يخالجها الأمل الغير منقطع أبداً ، ثم أشار إليَّ بإصبعه قائلاً : أنت يا صديقي الخيالي سأقولها لك كلمة واحدة ليس هنالك داعي للهرب من حياتنا وواقعنا ؛ لأن الواقع فاضح ولو أخفيت ذلك أو تلك الأفاعيل التي تثبت أن واقعنا فاضح للأسرار ومؤلم ،فما تُعاني منه هو في الحقيقة حالة نادرة وذلك لأن الأمر عندك قد خرج عن الحد الموضوع له، ولهذا فقد أصبحت شخصاً ذا غرابة نوعاً ما وخصوصاً تجاه المجتمع الذي بات يُحطّم الهمم وينزع الأمن ويغرس الخوف والذل والخضوع ، فهو أشبه بزمن لا قانون فيه بل أن من له السلطة **بماله** يملك كل ما يُريد حتى أغلى

الأثمان وهو شرف هذا الإنسان ، فالحقيقة قد قالت وتحدثت عن نفسها مراراً تكراراً ولكن هل نحن متمسكين بهذا الثقل الذي فاق ثقل الجبال ، إن ما يدعو إليه صاحبنا هو التأمل بكل مقال رويداً رويداً فلتقرأ صديقي القارئ بهدوء وسكينة وتتأمل كل معنى هو مقصود بذاته ومُشير إلى ما هو الهادف من ذلك كله ، فلم يكن الهدف الإطالة للحشو ، لجعل القارئ يمل بل كانت الغاية من ذلك سبيل الأمر الذي يكون القول فيه أخصر لك وأوسع وذلك من حيث المفهوم الذي أوحاه المعنى لك .

*****

* نجم قد تدلى من السماء . . .

اتأسف جداً على حال صاحبنا ، فحينما استمع لكلامه أحس أن الدنيا قد ضاقت به ، مؤسف جداً ما هو عليه ، فالأمل الذي كان يُحفّزه قد ذهب مع الرياح فلم يعُد قادراً على القيام بالواجب الإنساني في الحياة وهو العيش كأي إنسان ، حياة هذا الإنسان مليئة بكل ما هو مؤلم مليئة بالضيق من ضغوط الحياة النفسية ، لولا أنه يختصر هذه الرسالة بكلام ليس كله من داخل هذه النفس بل هو تعبير رمزي ، لا يريد شيئاً منها سوى التوضيح والتخفيف لكي لا ييأس صاحبنا ، فالنور الذي كان موجوداً بالأمس كان مشرقاً ولا يُضاهيه شيء ، أصبح اليوم شيئاً أشبه بالنفق المظلم ذو الأصوات المُخيفة والرائحة الكريهة الممتلئة بجثث الحيوانات المُتعفنة ، فالحياة أشبهُ بنجم عالي

مرتفع في سماء الواقع ، لكنك حينما تصطدم بالواقع ،وتجد أنك تخاف عليه من السقوط ثم يسقط ذاك النجم المُتدلي من فوق ، فهو إما أن ينكسر وإما أن تكون به بعض الخدوش الطفيفة ، تُساعده على السمو مرة أخرى ، فما ينظر إليه صاحبنا هو الواقع الذي لطالما بكى منه وأبكى هذه الأوراق بكتاباته ، فالصورة التي صوّرها عن نفسه مشوشة وليس بها أي تناسق حتى في الألوان ، فهو أشبه بمن قُبضَ عليه وسُجن فيعرضونه كل يوم على هذه الشمس التي يغلي منها الماء الراكد ، فما بالك بهذا الإنسان ؟ ، قصيرة هي الحياة ليفكر في طول ذلك العمر وماله به وقد شُقيَّ،لا زال يرسم واقعاً يتمناه في حياته ويراه كل يوم يعرضُ عليه كفيلم ليس صاحبنا إلا ممثلاً فيه ، فآه على تلك الدنيا التي أصابته ولم تترك شيئاً إلا وقد جعلته يكره هذه الدنيا ،فما أقوله الآن هو

ما لا سيقوله صاحبنا في الغد ، فلعل الله يُبدّل هذه الحال من هذا العذاب إلى ما هو أرحم وأهون بهذا القلب المُحطَم ،فالحقيقة بدأت تتلون وتصطبغ بتلك الألوان الزائفة التي جعلت من الواقع مؤلماً .

أراد صاحبنا في نهاية مقاله هذا أن يوصل فكرة ويناقشها معك أيها القارئ ، فقال صاحبنا جملة تتنافى مع رغبته في البوح والكلام قال صاحبنا : لا أعرف ماذا أقول ؟ !

قال صاحبنا مستطرداً ، أن الإنسان قد اقترف خطأً شنيعاً وأصبح البشر يطلقون على هذا الخطأ اسم العادة ،فالعادة إن لم يتركها الإنسان باتت السلاح الذي سيقتل به نفسه يوماً ما ،فلا يحب صاحبنا أن يُقال مات فلان وهو يفعل كذا وكذا ،بل يحب ويُطرب عند سماع ذلك "إنه مات على كذا وكذا" .

فهو يدعوك أيها القارئ إلى التحرر من تلك العادات التي ستُفني فيها حياتك يا صديقي دون أي جدوى، أطلق لنفسك الصراح أيها القارئ، انطلق في عنان تلك السماء الواسعة، ولا تقف أمام قول المرضى ممن يقولون تلك عادات وتقاليد، بل قل لهم رداً على قولهم، قائلاً: إنما هي عاهات وتقليد للجهل والخرافات، فنحن نرفض العادات إن لم تكن على أساس علمي، وإن لم تكن ذات فائدة لبني البشر.

*****

* أصدقاء ، زماننا ، الخونة . . .

كل ما كان صاحبنا يحدثني عن الصداقة ، كان دوماً يذكر أنه يأمل في صديق يفهمه ويتقرب منه ، يستوعب أحاسيسه ، فكلما كان ينظر إلى الصورة التي كان راسماً إياها عن الصديق الأوفى والصدوق ، يتألم لأنه لم وفي نظره لن يجد هذا الصديق قط .

وكلما تحدث معي وجد تلك الصورة تحترق بداخله لأنه يحكي لي عن هؤلاء ، هؤلاء الذين أعطاهم صاحبنا كل شيئ وكان جزائه الجرح والخيانة ، وجد منهم الغدر الذي لم يكن متوقعه من أقرب الأشخاص إليه ، فإذا فعل به الأقربون تلك الخيانة ، فماذا سيفعل به الأبعدون .

صاحبنا يعلم علم اليقين أن الناس لا يتشابهون ولا بد في يومٍ من الأيام أن يلتقي الطيب بالطيب ، أكمل حديثه قائلاً لي : أنه لا تدوم مصاحبة أولئك السفلة أو ما يسميهم صاحبنا الخونة الأندال ، ناكري الجميل ، ويستطرد صاحبنا قوله أن هؤلاء لا ودَّ بهم ولا عطف حقيقي وإنما كل ذلك تمويه، نعم هو يرى أنهم بارعون في التمثيل ، فهم يستدرجون بتمويههم هذا أولئك الذين هم على نيّاتهم ، ففي زماننا هذا بات هناك أشياء قديمة ذات معنى رائع ولكن اليوم شوّهوها لأسباب تافهة وقلة علمهم ونضجهم، صاغوا أقوال مضمونها خلق البُغض وغرس الحقد وشحن البغضاء ، فهل يُجدي بهؤلاء القضاء ؟ ،فالدرب الذي سلكوه بات نوعاً مما يسميه صاحبنا غباءً ، وذاك هو الداء الذي اجتاح قلوب البشر ، فهو يري أن ما تتكلم الناسُ فيه سراً أقسى وأقوى ألماً وجرحاً

على النفس من هذا المسموع علانيةٍ ، فالنفس مجبُولة على التأثير حتى لو أنكرت ذلك ، صاحبنا يرى أن النفس مجبولة على التأثير ولم يذكر أيضاً أنها مجبولة على التأثر ، فإن كان هنالك مَن هو أقوى منها بالعقل والحكمة أو بخلافهما ، فإن نفس الإنسان تتأثر بها ، مثلها مثل البيئة ، فما البيئة المحيطة بالإنسان إلا مؤثِر ، ومؤثَر ، وهنا نقطة لجدالي مع صاحبنا لم ألحظ في كلامه أن النفس تتأثر بما هو أقوى منها .

يرى صاحبنا ، أنه على الإنسان الملئ بالإحباط أن يترك نفسه لله عز وجل فهو لا يدري ماذا سيحدث له غداً ، وأنه حتى وإن كان مُحبطاً ، فهو ما زال يرى الأمل يناديه ، ما زال يرى تلك الحياة تبتسم من بعيد ، وإن أضاع سرابها ملامح تلك البسمة ، إلا أنه ما زال يرى الإبتسامة بالايحاء ، فأترك الأمر على ربك وحده ، وقل سيكون الغد

خيراً إن شاء الله ، وأن الحياة وإن لم يكن لها ذنب فى تكوين الواقع ، لكنها قد أضرّت بصاحبنا وصار يعيش وهو مُحطّم الفؤاد مكسور النظر، مجروح البدن ، فاقد العزيمة ، كاسل ، لا يقوى على أمر فلا هو ثابت على موقف ليقاوم ولا مُقدم ليهزم ذلك السراب ، فالأمر أشبه بهذا الفتي الذي قد أراد ركوب الأمواج فدخل البحر وهو لا يعرف السباحة فجميع الناس قالوا له أرجع يا فتى ولكنه وقفَ ، قائلاً : لا حتى تداركه الغرق ، فما كاد الناس ترى منه إلا يداه اللتان تنفستا خِتام الهواء ، ونزلتا حتى لم نرى منه شيء سوى ذاك الصوت الذي يُصدر من الفقاعات .

*****

* البعث من الغفلة . . .

قال لي صاحبنا أنه نظر في أحد الأيام إلى نفسه ، ثم تحدث بصوت مرتفع ، أو قل فكر لكن بصوته ، وسأل نفسه سؤالاً : هل سيتغير ؟

فقال نعم ولكن متى ؟ ؟ أو مايسميه صاحبنا باليوم الموعود الذي ينتظره بفارغ الصبر ، إن صاحبنا يشتاق أن يرى ويشهد ذلك اليوم الذي يستيقظ فيه من تلك الغفلة الطويلة .

صاحبنا يدعو الله عز وجل يومياً أن يرى هذا اليوم ، فهو لا يستطيع وصف ذاك اليوم ، ولا أن يصف تلك الحالة التي ستغمره حينها .

صاحبنا لا يستبعد هذا اليوم ، فها هو يشرقُ نور ذلك اليوم مُنبعث من باطن هذه الأرض الشاسعة ، لكنهُ خافت هوَ أشبه بنجمة أبصرها صاحبنا ، لكن صاحبنا قد اخطأ حينما صرف نظره قليلاً عن هذا

اليوم ، قلنا سلفاً أن صاحبنا يرى النجم في السماء لكن من المعروف أنه إذا أملت نظرك عن هذا النجم فسيضيع بين كل تلك النجوم المتشابهة ، فحلمك ليس فريداً من نوعه فكم من البشر يحلم ويحلم بأن يحقق حلمه المشابه لحلمك .

ورغم صعوبة الحياة التي يحياها صاحبنا ، فلا زال الإحساس ينبض ويتحرك بقوة ، لايدري ما هو سبب استمرار النبض هذا ولكنه يعلم أن هناك دافع قد دفعه إلى ذلك العمل، فقد يصنع الإنجاز إنسانٍ ولكن هل يصنع الإنسان إنجازاً ؟ ! ! ، "اقرأ الجملة السابقة مرةً أخرى"

أتلاحظون ما يقوله صاحبنا هنا ، فالنفس مضطربة لا تعي ما تقول ، تُقلّب الأمور وتصنع الحجج وما ترى من ذلك شيئاً ، رؤية تلك النفس ليست مكتملة، ،ومودتها شائبة،وعطفها مصطنع، ورحمتها لا وجود

لها، وغربتها أشبه بقفص لا مخرجَ منه، جوعها خلفه جوع ومن فوقه آلام وفوق ذلك الجوع يأس وقلة طاقة، فأين هذا الإنسان من يقظته وبعثه من تلك الغفلة التي يحيا بها صاحبنا .

*****

* قلبه اصطناعياً . . .

كنت أظن أن صاحبنا لم يحب أبداً في حياته ، فكيف لشخص بمثل تلك الشخصية أن يحب ويعشق ، وجاء الكلام في يوم من الأيام وقلت له أظن أنك لم تعشق يوماً ، فأجابني : نعم يا صديقي فلقد استبدلت قلبي الذي خلقه لي ربي بقلباً اصطناعياً ، لا يحمل أى مشاعر ، ولا يقوم بشيئاً إلا ما أمره به فقط ، وهذا ما أريده يا شاعرنا ، أعلم أنك غاضباً الآن فأنت أساس حياتك الرومانسية والشعور والإحساس .

لكن ما باليد حيلة يا أخي تنوعت الأسباب والنتيجة واحدة ،فالحب أحد النوازع التي تنتزع منك قلبك الرباني لتضع بك قلباً اصطناعياً يعمل على ما وُضعَ له دون شعور أو أى مشاعر صادقة ، قلبي هذا مجرد من الصفاء ،فارغ كُلياً من نبع المودة ، عازف على التسلية

ولا يمتثل فعلياً للحب الذي يُعد مثالاً يُحتذى به ، فالحق يُقال دوماً يا أخي ولكن هل من أحد يسمع ذلك الحق أو يُلقي علينا مثالاً ؟، فالحب الحقيقي الجاد سبيل إلى الرشاد فهو يرشدنا إلى الحياة الأبدية والتي تنتهي بالزواج على سنة الله ورسوله ، فقد دق الباب من إحداهن ودخل هذا الشعور الغرامي القلب كالمعتاد، هناك بواعث الإشراق ، هناك دلائل لهذا الحب ، ففرصة الحب لازالت موجودة في محلها الذي تُركت عليه منذ سنتين يا أخي غير أن اتجاهها قد اختلف ولكن هي باقية إلى أمد ليسَ ببعيد، فالأمل يملأ ذلك القلب الرباني المنزوع من صدري ، فلا زال صاحبنا يتكلم بحق ولكن ما من أحد يستجيب لذلك ، فالإقدام على نيل ذلك السكون أصبح شبه مستحيل ولكنه وارد من حيث تجهيز نفسه ، وشحن الهمة بالعزيمة ، ودعم النفس

المتألمة حتى تقوى على المقاومة ، فقد يتكلم صاحبنا بصراحة ولكن كماقالها إن جواب واضح ، خير من جواب فاضح ، ولهذا لا يميل إلى تصوير تلك الأفعال بأمثلة لا تمسه بصلة وإنما يطمح إلى توضيح صورة هي في الأصل حقيقة ولكنها مُلطّخة بألوان زائفة ، وذلك بسبب واحد وهو الاعتراف الناقص أو شبه ناقص بهذا الحب ،فهو الأمر الذي دعا إلى حجر تلك الدلائل والميل إلى تحريف مضامينها دون النظر إلى العواقب ، فقد طغت الكلمات واضمحلت بعد بروزها وبهاءها ، فالصورة المرئية لم تعُد مجرد صورة رمزية بل أصبحت صورة سوداء لا تعنى معنى إلا ذاك الصوت المسموع المتحدث عن ماضي وآلام لا أصل لها في تاريخ حياته ، سيظل يسجّل هذا التاريخ بقلمه الثابت

وصوته الغير مسموع ، إنه القلب الاصطناعي الذي يولّد هذا الشعور بالنفور من ذلك الشعور الغرامي الذي يدعوه البعض حباً .

*****

* نعم ، أحببت مَن تكبرني سناً . . .

مساء يوم الأحد ، في تمام الساعة ٩ مساءً حدثني صديقي على الهاتف ، وأخبرني أنه يريدني ، لنخرج سوياً لنحضر الطعام لأنه لا يحب طعام المدينة الخاص بيوم الأحد ، فضحكت منه ، وقلت له : أتعرف يا صديقي ما يحيرني ؟ ، أنك كئيب وكآبة الدنيا كلها فوق كاهلك إلا أنك تأكل كثيراً ، ثم ضحكنا سوياً ، وذهبت إليه ، وخرجنا ، وتناولنا الطعام في الخارج ، ثم جاءت أطراف الحديث ونحن على طاولة الطعام قاطعته في طعامه بجملة ، وقلت له : يا صديقي ألم تخبرني أنك أبدلت قلبك الرباني بقلبٍ اصطناعي ؟ ، فهل تعني بكلامك أنك لم تقع فى شباك الحب أبداً ؟ .

فأجابني بإبتسامة خفيفة ، فقال ، لما بدأت كلامك بمقدمة ، لما لم تسألني السؤال مباشرة ؟

فأجبته : لأني لم أتعود أن أضعك في موقف صعب من أسئلتي وهذا واجب الصديق تجاه صديقه .

فقال : لا يعتريك الهم يا أخي ، وإجابتي علي سؤالك هي : نعم ، لقد أحببت ووقعت في الغرام وسأحدثك عن امرأة أحب الحديث عنها رغم أنها لم تكن أول امرأةٍ في حياتي إلا أنها قطعت حبال السابقات من عقلي وخاطري ، تلك الفتاة تكبرني سناً ، نعم إني أرى علامات الدهشة على عينيك .

فقاطعته : لا يا أخي ليست دهشة مما تقول ، وإنما تعجب من شخصيتك تلك التي تبحث عن الغريب وتفعله ، فلقد اعتدت أن أسمع

قصص الحب من أصدقائنا في المدينة ، فالكل يسير طبق قانون المجتمع أو قانون الجامعة ، فإما أن يرتبطوا بمَن يصغرونهم سناً ، وذلك قانون المجتمع ، أو منهم مَن يحبون زميلاتهن في الكلية ، وهذا قانون الجامعة ، أما أنت يا صديقي ، فأراك دوماً تخرج عن المعتاد فى أقوالك وأفعالك .

فأجابني بنظرة وألحقها بإبتسامة خافتة لا تكاد تظهر من شفتيه ، ثم أخذ نفساً عميقاً ، وقال : يا أخي لو أنك شاهدت تلك الفتاة التي كنت أحس أنها صغيرتي ، رغم أنها تكبرني بعام واحد فقط ، ألا أني كنت في بعض الأحيان أحسها أمي وحبيبتي ، و ابنتي الصغيرة حينما تدلل علىَّ ، تلك الحمقاء ، نظرت لكلام المجتمع ولم تلتفت إلىَّ مَن أحبها بقوله وفعله معاً ، أتدري يا أخي ، إنها المجهولة التي لا أريد لأحد أن يعلم عنها أحداً ، حتى أهلي لم أخبرهم عن تلك الفتاة ، رغم أني كنت أخبرهم

عن كل فتاة أحببتها ، إلا تلك المجهولة التي ظلت فى عقلي وقلبي ولم تفارقني صورتها أبداً ، تلك الفتاة رأيتها مرةً واحدة فقط ، لكن عيناها أسرتني وملكتني ، فقاطعته : هل تريد أن تحكي لي أم لا ؟

فأجابني : أريد فأنت الوحيد الذي أردته أن يكتب عن ما أحسه .

تلك الفتاة في بداية الأمر أعجبها ، كلام كنت قد نشرته على موقع التواصل الاجتماعي (فيس بوك) ، فأعجبها الكلام ، ثم علقت على كلماتي تلك ، تعليق وراءه الآخر ثم بدأنا نتحدث على صفحة كنت أنا الوحيد عليها ، فتعجبت ، كيف ذلك ، فسألتها مرة لما أنا الصديق الوحيد عندك ؟

فأجابتني : نعم فأنا ليس عندي أى شخص غيرك .

تعجبت ثم مرت الأيام وزاد الكلام ، ثم قالت لي : أتدري يا هذا إنني لم أتعود أن أتحدث مع أولاد ، إلا أنني أضفتك لصداقتي لأني أرى فيك أخاً فأرجوك لا تخذلني ، وعِدني أنك ستظل مخلصاً لي وأنك لن تضرني قط .

فأجبتها ، لكني أريد أن أكون معكِ ، كما باقي الأصدقاء ،سألتني : ماذا تقصد ؟

فقلت لها : أريد أن أكون كما الباقين ، أريد أن أكون في حياتك يا فتاة أريدك أن تضيفيني لقائمة أصدقائك الأخرى ، ليست على تلك الصفحة المزيفة ، لا أريد أن أكون مزيفاً .

فصمتت برهة ثم أجابتني : حسناً ، سأثق بك ، رغم أني لم أكن أريد ذلك ، لكنك على ما تبدو إلى الآن شخصاً محترماً .

وبالفعل يا صديقي ، أضافتني إلى قائمة أصدقائها ، ومرت الأيام والأيام وكان الكلام يزيد يوماً بعد يوم ، كنا نتحدث كل يوم ، لا يكاد يفارقنا يوم إلا ونتحدث ونضحك كلانا من بعضنا ، وتعلو أصوات ضحكاتنا ، كنا نعيش يا صديقي ، كأخ وأخت ، إلى أن حدث ما لم أكن أتوقعه .

فنظرت إليه بشدة ، وأملت رأسي كأني أحاول تخمين ما سيقوله ، وبالفعل نطق لساني مسرعاً قبل أن ينطق هو ، خرجت تلك الكلمة مني كالبرق ، قلت له : أحببتها ؟ ! !

فأجابني مذهولاً من سرعة رد فعلي : نعم أحببتها ، لكن ما لم يمر مرور الكرام أنها غيرت معاملتها معي ، ثم لاحظت عليها ذلك ، فسألتها : لماذا تقسو هي علىَّ هكذا ، وتغير معاملتها معي ، فأجابتني : بصوت لم ولن أنساه ، أجابتني بنبرة صوت مقتولة لا تريد الخروج من الحلق :هذا ما

كنت أخشى أن يحدث لم أرد أن أتحدث معك منذ البداية لهذا خوفاً من أن تقع في حبي .

فأجبتها ، لا يا فتاة ، لا تحزني فلن أقولها ثانية ، ثم ضحك وارتفع صوته في ضحكته تلك ، فتعجبت منه ، فقطع تعجبي قائلاً : أضحك لأني تذكرت أني كنت كلما أقول لها لن أقولها ثانيةً أعود لأكرر نفس القول فلقد كنت أحبها جداً ، فلقد جذبتني إليها في فترة قصيرة جداً

إلا أنني كلما كنت أقول لها ما بداخلي ، تحزن ، لم تكن تحزن من قولي ، لقد كانت الغالية التي لن أجد مثلها ، تحزن على حزني أنا ؛ لأنها لا تمتلك ما تعطيه لي ، فهي أسيرة قيود هذا المجتمع المريض الذي يجبر الفتيات على سن معين للزواج حتى لا يقتلهن شبح العنوسة .

ثم سكت برهة مطرقاً رأسه ، وقال : أتعرف لقد كنت أشفق عليها رغم أنها كانت تقسو عليَّ بحديثها عن أولئك الرجال الذين يتقدمون لخطبتها كل يوم ، أتعرف يا صديقي ، كنت أتعجب من كثرة أولئك المتقدمين للزواج منها ، حتى أني كنت اسألها دوماً : لما كل هؤلاء الرجال يريدونك زوجةً رغم أنك لم تظهري شخصيتك إلا لي أنا فقط على حد قولك ؟

فأجابتني : لأنه في قريتنا يا أخي ، ينظرون إلى الفتاة بتربيتها وأخلاقها وأخلاق المنزل التي تربت فيه .

فقلت لها : كنت أظنهم يأتون إليكِ لأنكِ جميلة ، في حقيقة الأمر قلتها تهكماً ☺ .

إلا أنها أجابتني : أنا كأي فتاة بل أني سمينة وقبيحة الشكل .

إن قولها على عكس الفتيات ، فكل الفتيات حتى القبيحات منهن ترى نفسها جميلة في تلك المرآة العمياء في غرفتها ، إلا أن قولها هذا جعلني أحس أنها جميلة وعلى عكس قولها تماماً ، فأخذ الفضول يقتلني إلى أن طلبت منها أن تقابلني في أحد الأيام ، بالطبع رفضت ، وسأقولها لك صراحةً عذبتني ، إلى أن أتت وقابلتني ، حتي يوم اللقاء كانت تسير خلفي وكنت أنا أسير في الأمام .

فقاطعته مسرعاً : وهل كانت جميلة ؟ ؟

فأجابني : كالبدر حينما يكتمل في نصف الشهر العربي .

وهل كانت سمينة كما قالت هى ؟

فضحك مني ، وقال : تلك الكاذبة ، كانت تخدعني ، أتدرى كانت كما نقول نحن الشباب بالعامية "المظبوطة" كانت متناسقة ولا عيب فيها .

فضحكت وسألته : وماذا فعلت حينما وجدتها هكذا ؟

فأجابني: كنت أعاكسها بكلامي كل خمس دقائق ، وكانت هي لا تفعل شيئاً سوى النظر إلى الأسفل خجلاً .

وماذا حدث بعد ذلك يا أخي ؟

فأجابني : انتهت المقابلة ، واستقلت السيارة ثم رحلت وأخذت معها قلبي .

*****

* لم تنتهي القصة . . .

لم تنتهي قصة صاحبنا مع تلك المجهولة التي لم يرد حتى أن يبوح بإسمها لي إنها شخصية علي حد قوله مليئة بما هو محزن ومفرح، فهي لم تصل بعد إلى بر الأمان، فلا زالت تخوض معاركها مع البحر، فعندما تنظر إلى ما حصل مع صاحبنا تجد أنه وقع في غرام مَن هي ليست ملكه، مَن هي ليست من سنه، فقط لأنه وحده كان يبكي ولا أحد يستمع لبكاءه ونحيبه، نعم فلقد كان صاحبنا ممزق القلب، بعد فترةٍ من دخول تلك المجهولة إلى حياته، خال أنه سيجد نفسه في حبور دائم، وابتهاج. نعم كان الماضي قاسياً فعلى الرغم من سكاكينه إلا أنه حافل بما لم يكن اليوم حيّا، فصاحبنا بين الانبساط و الانطوائية، فالحياة في نظره قد تغيرت فقد اشتاق صاحبنا إلى بكاءه، لقد غيرت تلك المجهولة حياته

عصفورة هي على غصن ممتلئ بالأشواك لا تستطيع الوقوف عليه بثبات فكلما تحركت مجهولته ، تجد شوكةً قد اخترقت قلبها .

إنه الواقع الذي لا مفر منه ولا من لهيب ناره فما بعد ذلك الحياة ، ولهذا كان التفكير مشوشاً غائباً عن الواقع لحينٍ من الزمن ، فأنا عندما أنظر في خيالي وأنظر إلى واقع صاحبنا اتألم لأني أعلم أن الواقع هو الذي سأعيشه وليس الخيال ، حقاً كما قالها صديقي لم تنتهي القصة .

فماذا أفعل أنا غير العيش في الخيال ، ما أنا إلا شخصاً طريح البيت ، مُشغل نفسه بالقراءة ، عاكف على التأليف ، وليس بينه وبين الواقع أي صلة .

*****

* الوحدة تدعوني للحرام . . .

كنا نذاكر كالعادة ، وإذ بصاحبنا ، يقول لي أتدري لما أحب المذاكرة معك ؟

قلت له : لا أدري يا صديقي .

فقال : أنت تدري أني لست منافقاً وسأكون صريحاً معك ، أحب المذاكرة معك لأن الوحدة تدعوني إلى الحرام ، فضحكت منه ، وقلت له ساخراً : أنا أحب الحرام هيا بنا يا صديقي ، لكن كيف الحرام ونحن في المدينة الجامعية ؟

فضحك مني وضحكت منه ، فقال : أتحدث معك بما في قلبي

يا صديقي ولست مازحاً ، فأخذتني الدهشة من الجملة حينما تذكرتها قلت له : كيف هذا يا صديقي ، ماذا تقصد بأن الوحدة تدعوك للحرام ؟

فقال لي : ذات يوم وأنا أجلس وحدي كانت أول مرة أكتب في عنوان الانترنت Www--------.com

وأكتب كلاماً أعف أن تذكره في كتاباتك عني .

ففهمت من حديثه أنها المواقع الإباحية ، وعلمت أنها الحرام الذي كان يخبرنا به صاحبنا .

فاستطرد حديثه قائلاً ، كانت الوحدة تجعلني متقلب المزاج ، شعرت حينها بنقص داخلي أعرف حقيقته ، ولكن الكتمان قد أخذَ عهداً أن لا يفصح عنه رغم وضوحه في عباراتي .

كا ن صاحبنا يلهو على تلك المواقع ليله ونها ره ، فالوحدة قا تلة وهو شاب لا يد ري ما يفعله ، صاحبنا كان حراً مع نفسه ، كان يكسر كل القيود العائلية والمجتمعية ، لقد كان لصاحبنا غاية في وحد ته إن الغاية من العُزلة هى انفراده عن أشخاص فقد منهم المصداقية والثقة ، بينما نَمت ترعرعت بهم حب الذات والمصلحة الخاصة التي تدعوهم إلى فعل كل ما هو قبيح .

فلقد كان يشعر بالراحة وتلك الراحة نا تجة عن الوحدة الهادئة .

*****

* أنا خجول . . .

نعم صاحبنا هو ذلك الفتي الذي يجلس في محاضرته طوال يومه الدراسي صامتاً لا يتكلم ، حتى وإن كان على علم بالإجابة فهو لا يرى أن للكلام فائدة مع أولئك الأشخاص الذين لا يفهمونه ، ولذلك فهو يتجنب الحديث فيما ليسَ فيه فائدة .

لقد اعترف صاحبنا مراراً وتكراراً بخجله ، وهو على علم أن الاعتراف بالخجل ليس عيباً ، ولكنه سوف يُعرقل جسر الحياة ، الذي يسيرُ عليه إلى المستقبل ، فمن المستحيل أن يصنع الخجل إنجازاً ، ولكن الأمر مُعقّد جداً .

فالواقع المؤلم الذي يحدثني عنه صاحبنا دوماً لا يقف في صف الخجول الصامت ، بل إنه يقود إلى سجن ، سجن يأسر بداخله الطموحات

والأماني فيجعلك "كسمكة الزينة" في ذلك الحوض الكبير الذي يزين صالة منزلنا .

لا يعلم صاحبنا أين هو من تلك الواقعية ؟، ولكن الأجدر بهذا القلق والخوف ليس صاحبنا ، بل أنا ، أنا الذي يعيش بين أسوار الخيال لا يخلع هذا الرداء الرومانسي الخيالي عنه حتى في كتاباته .

صاحبنا عاجز عن التخلص من هذا الخجل ، حتى وإن كان بداخله دافع وصوت مكتوم داخل صدره ، هيا إنهض ، أخرج ما بداخلك ألقي أشعارك أمام الناس ، إلا أن الواقع يختلف مع هذا الصوت المكتوم ، ويظل صاحبنا في الكالوس ويأخذ مكانه على المسرح بعض الهواة ممن لا يجيدون حتى صنع كوب شاي لأنفسهم في المنزل ، هؤلاء الهواة لديهم شيئ ليس لدى صاحبنا إنها القوة الداخلية والثقة بالنفس أمام الآخرين

، صاحبنا لا يجد الخجل في أن يقول أنه في بعض الأحيان يكون ضعيفاً ،

إن ضعفه ليس بيديه ، إنه الخجل القاتل ، ذلك الشبح الذي يأسر الآمال

والطموحات ويغير الموازين ، ويعطي لمن لا يستحق .

*****

* تجريد النفسِ . . .

صديقي قالها وأنا صدّقت على قوله ليس للقصة نهاية ، فالحديث عن النفس بتجريد صديق من جسدك لتتحدث معه وتعيش معه الصداقة الحقيقية التي نَدُرت في زماننا هذا ، لهي البداية .

نعم فكتاباتي عن صديقي هذا جعلتني أرى نفسي كأني أقف أمام مرآةٍ في منزلنا ، مجرد من كل الأفكار ، إنك تُقسم نفسك إلى شخصين ، لطالما كانت يجول بخاطري سؤالاً ، حينما كنا ندرس الجماليات في مادة النصوص ، كنت أسمع أستاذي دوماً يقول ، لقد جرد الشاعر نفسه إلى شخصين ، فنراه يذكر صديقه بضمير الغائب هو ، وكنت اسأل نفسي كيف ذلك ؟ وهل هو ممكن ؟ ، إلى أن جاءتني فكرة في أحد الأيام

لما لا أجرب تجربته ، وأجرد من نفسي شخصين وليكن حديثي معه بصيغة الغائب ، أجعل منه صديقي الذي أحلم بلقائه دوماً .

وجدت أن بداخلي هذا الدافع ، يدفعني مراراً وتكراراً إلي خوض تلك التجربة علّني أرتاح قليلاً من هذا الانقسام .

إن صيغة الغائب للصديق مجدية جداً معي، وأنت تسأل نفسك الآن أيها القارئ لما فعلت هذا وجعلتك تصدق أن هنالك صديق حقيقي لي في تلك الكتابات ، لأني أريد أن أعرف منك هل نجحت في تجريد نفسي إلى شخصين أم لا ؟ ؟

لا تتعجب فلا يوجد صديق في الواقع ، إنما كلها كلمات واعترافات فكلنا اعترافات في حياة بعضنا ، وهنالك مَن يصون الأمانة ولا يفشي اعترافاتك وهنالك النذل الذي لا أريد أن أعطيه حقاً وأتحدث عنه

وكما قالوا : جميعنا فترات في حياة بعضنا البعض ، وكل منا يذهب ليأخذ فترة في حياة آخرين غيرنا ، ويستمر في فعلته تلك إلى أن يموت .

إن ما أحاول البحث عنه دوماً هو الشيئ الذي قد لا أجده على ظهر هذا الكوكب لا أعلم إن كان هنالك مثلي ، لكن أريدك أيها القارئ يا مَن ستقرأ تلك الكلمات أن تخبرني بعقلك إن كنت مثلي ، وأحسست بكلماتي ، إن وجدت في داخلك شخصي ، تخيلني الآن وأنا اكتب تلك الكلمات ، وأغمض عينيك وقل لي أنا مثلك أعيش وحيداً ولا أجد مَن يفهمني .

*****

كلمة لابد منها ويجب علىَّ البوح بها ، أشكرك يا صديقي ، فلولاك ما خرجت تلك الكلمات ، أردت فقط أن أوجه لك كلمة شكرٍ في نهاية هذا الكتابة ، فلولا جُملك الرائعة ، ونظرتك للواقع الأليم ما تم هذا الكتاب ولا استطعت أن أخرج تلك الكلمات من قلبي . . .

أشكرك أنت أيضاً أيها القارئ لأنك تحملتني وقرأت تلك الأسطر التي لا أعلم إن كنت راضياً عنها ، أم أنك أحسست أني قد ضيعت وقتك في قراءة تلك التفاهات ، يعلم الله أني ما قصدت تضيع وقتك إن كنت تشعر بالضيق مني الآن ، كان يمكن أن أكتب لكَ / لكِ رواية عشقٍ أو قصص رعب كالشائعة بين الكُتاب تلك الأيام لكني أردتك أن تشعر أن

الحياة ليست كلها كتابات رومانسية ، وأقلامٍ مُرعبة ، أردتك فقط أن

تشعر أنك لست وحدك /وحدكِ المُعذب/ـة في تلك الدنيا ، هنالك

دوماً مَن هو أصعب حالاً منك/منكِ ، فتذكر أيها القارئ فضل الله

عليك ، وأشكره حتى لو ظننت أن الدنيا قد أخذت منك كل شيئ

فقط تذكر دوماً أن هنالك مَن هو أكثر منك ضيقاً ، ويطلب الفرج

وما زال عنده أمل في تلك الدنيا ، أدعو الله يا صديقي ، ولا تجعل الهموم

تقتلك وحدك أخرج همومك دوماً ، فإن تكاثرت عليك الهموم

ستطرحك أرضاً ، أقتل همومك قبل أن تقتلك ، جرد من نفسك

صديقاً خيالياً وخاطبه بصيغة الغائب إن لم تجد مَن يفهمك في تلك الحياة

القاسية ، اكتب تلك الكلمات ، لا يشترط أن تكون أديباً حتى تكتب

فكلنا نكتب ونكتب ، نكتب لنرتاح ، نكتب حتي نقتل الهم والأحزان

وآخر شيئ سألقيه على مسامعك هو السلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تم بحمد الله